مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 126) 2024, pp. 735-744

الهوية السردية لرواية الأجيال في العراق
رواية "نور خضر خان" لجابر خليفة جابر مثالا

أ.م. د.عالية خليل إبراهيم
الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية/ قسم اللغة العربية
Alyath79@Gmail.Com

مستخلص البحث:

تنتمي رواية " نور خضر خان" للروائي " جابر خليفة جابر" للتجربة السردية البصرية والتي تنماز بإنتمائها للجذور وبحثها عن التأصيل من جهة وتطلعها للتجريب واتباع موجات التحديث في الكتابة السردية من جهة ثانية، يتطلع البحث لقراءة تأويلية للرواية بحسب منهج المفكر " بول ريكور" صاحب الجهد التأسيسي في دراسة اوجه العلاقة بين السرد التاريخي والسرد المتخيل ونظريته عن الهوية السردية في الخطابات الأدبية والأهمية التي اسبغها على نظام التحبيك بكونها انتظاما للعناء التاريخي في سيرورته الزمانية ،كل ما ذكر يشكل موضوع الدراسة اللاحقة في رواية " نور خضر خان" للروائي "جابر خليفة جابر".

توطئة: مصطلح رواية الأجيال

لم تشهد مسارات الرواية العراقية وفرة واهتماما في كتابة رواية الأجيال المتعاقبة إلا في نماذج محدودة تعود إلى العقدين الاخيرين من القرن العشرين وقد ركزت أغلب المحاولات على جيلي الآباء والابناء ([1]) هذا النوع من الكتابة يجعل الحكاية في خدمة التفسير التاريخي أو هي رواية فهم للزمانية بشكل عام وفق ما طرحه "هايدغر" وكان يرى أن الزمان هو فهم الانية في اتجاهها نحو المستقبل وعدل على نظريته فيما بعد " بول ريكور" حيث دعا لتحرر الذات من الفردية الوجودية وانفتاحها على افاق البنية المجتمعية والتاريخية وفهم الاخر،ركز "ريكور" ابحاثه على الهوية السردية وهي صورة الذات المتحركة التـــــــي لا تتحدد إلا بالسرد وهي ليست جوهرا ثابتا بل ما يتحقق بالزمان ([2]). يعرف "هايدن وايت" الجيل بأنه" البناء التفسيري المشترك الذي يتم الالحاح عليه ويجـــــــري بناؤه بين الجماعات الملموسة"([3]) يتضمن خطاب الاجيال دراسة وضع الفرد والجماعات الاثنية والثقافية في حقبة محددة قد تستغرق ثلاثين عاما الزمن الملائم لتبادل الأدوار بين جيلي الابناء والاباء([4]). ترصد رواية الأجيال أثر التاريخ والبيئة والثقافة على أفراد من أسرة واحدة أو جماعة اثنية أوأمة سياسية في حقب متتالية ثم تفسر ذلك الأثر هل هو خطي ثابت أم أفقي متحرك تأتي بعدهما مرحلة التأويل والتي تنشد حل لغز الزمانية العميقة المتعلقة بالمتخيل الاجتماعي تارة وبلغز الحياة والموت تارة أخرى. الوعي الذاتي بالزمان في ابعاده الانية والتاريخية والمستقبلية وفك شفراته الفلسفية لاتتأتى لأي روائي إلا إذا كانت لدية دراية وافية بالتاريخ والذاكرة الجمعية للأمة ذلك ما ينطبق على الروائي"جابر خليفة جابر" المتخصص في التاريخ والذي قدم رواية سابقة استلهمت تاريخ الأندلس "مخيم المواركا" آخر ما أصدر روايته " نور خضر خان" والتي ستكون محور مقاربتي النقدية اللاحقة.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 126) 2024, pp. 735-744

يدل مصطلح الحبكة على تركيب القصة ومقصدها الذي يتطور وفقا للزمن " التتابع الغائي للأحداث المرتبطة بمبدأ ما من مبادئ العلية، اي أن الأحداث والعوارض يرتبط بعضها البعض في شكل من أشكال الحل والتلاقي"([1]). تتجاوز الحبكة مصطلح البناء السردي فهذا الاخير يهتم بالصياغة الشكلية وحدود انتظام عناصر السرد والتحولات التي تطرأ عليها بينما الحبكة تأليف بين عناصر متنافرة تميزها ثلاث سمات التوفيق بين الأحداث المتعددة والقصة الواحدة وأولية التوافق على التضارب وأخيرا التنافس بين التعاقب والصياغة التصويرية وتكشف الحبكة عن الآثار التي يمارسها المعنى التاريخي على فعلنا وعنائنا في الحاضر، ينبثق من المسافة والفجوات بين الاستمرار والانقطاع،الواقع والإمكان التأويل الناقد للتراث([2]) تمثل الهوية السردية أعادة تشكيل للهوية الشخصية وفهمها عبر الوسيط التخييلي عندها يمكن المرور من الذاتية إلى الغيرية عبر الدوام في الزمن. وإذن ما الهوية الشخصية هي مصطلح "يستعمل للاشارة على المبدأ الدائم الذي يسمح للفرد أن يبقى هو وأن يستمر عبر وجوده السردي على الرغم من التغيرات التي يعانيها"([3]) . تنهض القصة من عملية بناء الحبكة وتنهض الشخصية وتسهم في نقل الحبكة إلى الهوية التي تتكشف في سياق القصة أي أن الشخصيات هي حبكات([4]). من هذا المنطلق استنطق تحبيك الرواية في ضوء الهوية السردية لنساء الأضابير.

1-1: وصف الرواية ومجال البحث:

تلخص رواية " نور خضر خان" تاريخ مدينة البصرة على امتداد اربعة قرون متتالية تبدأ من منتصف القرن الثامن 1761 حتى 2049 أي أن تاريخ الحكاية يمتد إلى ما بعد زمن الرواية الصادرة عام 2022 ووفاة المؤلف النصي "جابر خليفة" وليس المؤلف العياني الذي هو حي يرزق، يدل هذا التخطيط أو التشذير الزماني على عناية الروائي بأفق التوقع بوصفه قارئا للتاريخ بقدر اهتمامه بتدوين الذاكرة التاريخية يتجاوز الابداع الحدث والسيرة والتوثيق والأرشفة نحو صياغة التجربة الخيالية للزمن([5]). من بصرة التراث إلى المستقبل عاشت أربعة اسر هي" ال زمان" و" ال عدن" و"سيد رضا" وأسرة "ال توما" اسر عريقة تجذرت في المكان وامتدت عبر القرون،تضمنت الحكاية عشرات الشخصيات والأمكنة العناوين الرئيسة والفرعية، أحداث ومكابدات صراعات وحروب وتصفيات، ظلم وقسوة، بؤس وغنى، انتكاسات وصمود حيث يحتاج القارئ لجهد لمتابعة كل تلك الشخصيات والأحداث ويركزعلى كل تفصيلة من عديد التفاصيل؟،لربما أراد المؤلف من روايته أن تكون بانوراما تصويرية للمدينة وأسرها أو متحفا كتابيا لها ،مقولة المتحف لها وجاهة في توصيف الرواية اذا أخذنا بإجرائية تعاشق الفنون خاصة وإن الرواية على احتشادها بالشخصيات والأحداث والتفاصيل ليست طويلة وليست على اجزاء يبلغ عدد صفحاتها 275 فقط. " زوجي هو من شجعني على الكتابة عن تاريخ دار زمان سيرة اسرتنا البصراوية متعددة الأعراق والأديان والطوائف " هذا ما تصف به حفيدة أسرة ال توما "نور خضر خان" كتابها الذي الفته عام 2022 وفاء لأسرتها البصرية هي الساكنة في العاصمة لندن والحاصلة على شارة مواطنتها، المؤلفة مسلمة ولدت لأب تركماني وأم عربية ومتزوجة من أرمني اسمه "خاجيك"، كتب ختام لمؤلف زوجته ذكر فيه انساب الأسر الواردة في الكتاب، وسمت كتابها ب"دار زمان" البيت الذي سكنه أجداد هذه الأسر وابنائهم

.

."،

واحفادهم ليكون بؤرة الحكي التي تتجمع في بوتقتها دلالات الفعل التاريخي،المكان بتمثلاته الثلاث" الواقعي والنفسي والمطلق"، يشمل المكان أو الفضاء عموما " العالم الذي يحوي أجسادنا وعقولنا، والعالم ليس كمية الأشياء التي تقع تحت أبصارنا وإنما أمكاناتها المشتركة والتي تربط منظور كل منا وتسمح بانتقاله إلى الاخر"([1]) يوازي الفضاء المنظور والهوية والسردية في قابليتهما للتنظيم البنائي وتحقيق الأثر الجمالي للتلقي. تقع الدار في محلة نظران البصرية التراثية المعروفة بدور الشناشيل ذات الطراز المعماري الجميل، اقترحت دار النشر على المؤلفة أن تحول نسخة الكتاب إلى رواية تصدر باسم " انوش" ويقوم الروائي " جابر خليفة جابر " الملم بتاريخ المدينة بتحويل الكتاب إلى رواية وقد صدرت في طبعة أولى سنة 2024 أما الطبعة الثانية فقد صدرت بعد وفاة المؤلفين الكاتبة والروائي سنة 2049 م.جمعت المؤلفة كتابها من مصادر عدة فاضافة للمرويات الشفاهية التي تناقلها حكواتية القصص ومنهم " سهيلة" هنالك مصادر أخرى منها رسالة ماجستير معنونة (انوش كريكوريان من أورفه إلى البصرة) والأرشيف العثماني الخاص بولاية البصرة والمحفوظ في المكتبة السليمانية باسطنبول"/ 15وتظل المؤلفة النصية تعدد مصادرها التي استقت منها معلوماتها عن تلك الأسر،يدخل هذا الشكل من الخطاب إلى حوارية علاقته مع المتخيل السردي والتي تعد ميزة من ميزات الرواية ما بعد الحداثية . يطرح التلقي سؤالين على هذا الصنف من الكتابة أولا المصداقية وثانيا الكيفية وكلاهما مرتبط مع الاخر في الدلالة على هذا الشكل من الكتابة ، لم تعد مسألة المصداقية مطروحة على الأقل في الرواية إلا في حدود اعتبار الصدق شرطا من شروط الاثار السياقية المحدودة اي اثارها المعرفية والتي يصح اعتبارها معلومات([2])لا يشير المتخيل القصصي إلى الواقع مباشرة وإنما يكشفه ويجمع ملامحه في بنية رمزية دالة، التاريخ بدوره أخذ ينحو باتجاه ادبيته تحت مظلة قول " دريدا" لا شيء خارج النص" يعني تحويل الأشياء والمفاهيم إلى خطابات بما فيها أغلب العلوم الانسانية ومنها التاريخ الذي يراد تنصيصه واستثمار اليات التمثيل القصصي في تدوينه([3])،بناء على ذلك نظر العديد من الباحثين لمصطلح الميتا رواية التاريخية الرافضة للسرديات الكبرى وانبثاق التاريخ المضاد مثل تاريخ البنى الذهنية لفئة اجتماعية معينة وتاريخ المتخيل أخذ ينظر للوثيقة الادبية بشكل مستقل([4]) . بادر الروائي "جابر خليفة جابر" لكتابة تاريخ البصرة (1761-2049) مستفيدا من بلاغة المتخيل مبادرة فردية استندت لوثائق مكتوبة ومرويات شفاهية البعض منها حقيقي والآخر منتحل فالقارئ بإزاء نص ينحت ذاكرة مغايرة للمدينة بإداة التفكير الظاهراتي للوجود وبوساطة الأخيلة وعليه بالإمكان توصيف " نور خضر خان" بأنها رواية ميتا تاريخية.أما سؤال كيف تتشكل الهوية السردية لرواية الأجيال؟ تحيل الإجابة المتلقي إلى دراسة اليات التحبيك وسيرورة الأفعال الروائية، فالوعي الذاتي بالوجود الذي تجترحه التاويلية يعد شبكة متقاطعة مع الأخرين في حركة لا انقطاع لها من الأفعال تنهض على أساس التراث السردي وتقاليد الجنس الأدبي والحبكة "هي المكون السردي المركزي الذي يستخرج من تشعب التجارب العشوائي كلا زمنيا موحدا"([5]).

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 126) 2024, pp. 735-744

1-2: الهوية السردية لنساء الأضابير الخمسة:

تمثل الأنوثة بدلالاتها الاجتماعية والنفسية والثقافية وشخصية المرأة بدلالاتها السردية والتصويرية الواجهة العريضة لخطاب الرواية بدءا من سيمياء التسمية المؤنثة " نور خضر خان" تشير التسمية لتصالح الاثنيات"عرب،فرس،اتراك توالت على حكم البصرة التي كانت منذ تأسيسها ممرا للطامحين والغزاة وشكلت الاثنيات ملامح حضارتها من الوجهة الثقافية. المؤلفة المتخيلة امرأة، التقديم بقصيدة شعر لشاعرة اسمها " كنار جميل بيكر" حفيدة أسرة ال توما تدور فكرة القصيدة عن مأساة تهجير الأرمن من أرضهم وتشتتهم في اصقاع الأرض، ومع أن رواة القصص متعددون فأن الراوية الرئيسة هي "سهيلة" حفيدة أسرة ال زمان عاشت بين عامي (1950-2018)، الراوية تمثيل " لشهرزاد" التراث وهي تحكي قصص الأسر التي سكنت "دار زمان" من فيض الذاكرة الخصبة ومن وحي حياة أمها فاطمة وجدتها" أنوش" المولعة بالقصص هي الأخرى فقد قرأت مقامات الحريري البصري وأعجبت بها ثم أخذت تلتقي بالنساء البصريات لتسمع منهن الحكايا وكانت أحيانا تشتري القصص بالمال من النساء المعوزات لترتوي من نبع سردهن للأفراح والاتراح "اجتمع لها رصيد من الحكايات مزجته بخزينها من حكايات الارمن والحريري وشعرت بأن مزيج الحكايات الجميلة هذه تجعلها خفيفة كعصفورة وتكاد تطير،وقد دفعت لاول حكاية استمعت عليها اربع مجيديات اي ليرة كاملة من شدة اعجابها بها"/190. ، قصة شراء القصص فيها شيء من الغرابة أو الواقعية السحرية تجيد النساء وظيفة الحكي بدلالة اقتران الحكاية بالولادة وسيرورة الزمان والمكان وتناصها مع سلطة التاريخ والتذكر الواعي تارة وبالتآسي ونسيان الهموم والقسوة تارة أخرى وبالفطنة ولذة الاكتشاف وبعد ذلك أليس من الجميل أن تشتري المرأة القصص!. تشكل كتاب " نور خضر خان" من خمسة اضابير كل اضبارة تتكلم عن معاناة امرأتين عبر امتداد الأزمنة عناونين الاضابير كما يلي الاولى "سهيلة وميريام" الاضبارة الثانية " زينة وفرح" الإضبارة الثالثة " لويزا ومحاسن" الاضبارة الرابعة " انوش وكوهار" الاضبارة الخامسة " ضحى ومحاسن"، نساء الاضابير عانين الكثير وقد صمدن وقاومن العنف والاضطهاد "سهيلة" راوية الحكاية قتل النظام البعثي زوجها وأولادها الثلاثة، قتل زوجها في أحداث انتفاضة خان النص سنة 1977 وأولادها الثلاثة بعد أحداث الانتفاضة 1991 " زينة وفرح" سنأتي على ذكرهما، "محاسن" الجدة زوجة " علي زمان" " لويزا" اميركية زوجة " مهنا بن آذار بن علي زمان" أحبها الشاب وعاش معها فترة في اميركا وفاءً منه لهذا الحب ولم يفرقهما سوى الموت ،ظلت قصة حبهما مضرب الأمثال على رهافة حس البصريين وقبولهم بالاخر المختلف. " أنوش وكوهار"شقيقتان ارمنيتان عايشتا مأساة تهجير الارمن من بلادهم ،قتل الاتراك والدهما واقتدن سبايا من عاصمة ارمينيا إلى البصرة اغتصب عصمان العثماني كوهار بهمجية إلى أن توفيت مرضا وقهرا " انوش" الشقيقة الصغرى قاومت الاغتصاب بشراسة وقد نجت وتزوجت من حبيبها "شكران" البصري. سعت الكاتبة " نور خضر خان" لإنصاف المرأة وكان الروائي " جابر خليفة" أمينا في نقله لما ارادت أن تبلغه وهي تؤرخ لبنات جنسها رافعة الحيف عنهن ومشيدة بمواقفهن الشجاعة. سبق قصص نساء الأضابير تقديم للرواية جاء بمثابة سيرة ذاتية للكاتبة عن حياتها في لندن وعلاقتها بوالديها ولقائها بزوجها خاجيك،.وإذ تطرقت آنفا للكتابة الروائية والتاريخية واجتراح نظريات تأويل الخطاب المزج بينهما فإن جنس السيرة يعد لصيقهما كون مرجعيته التذكر الواعي ولا يخلو من تطويع المخيلة لذا انتظم عقد السرد بالسيرة المتخيلة للمؤلفة والتي ركزت في سردها على زمن الطفولة وخيالاته المرحة في حديثها عن دب "باندكتون" في لندن، وحمامة بيت سهيلة التي تحولت إلى فتاة ،شكلت صورة الدب والحمامة رمزا استباقيا ورد في التقديم مع صورة

الدمى في أصل الحكاية وقد امتدت من زمن الجد " علي زمان" إلى الأحفاد كان مولعا بجمع الدمى منذ حوادث قبرصغيرة ال عدن المحاط بالدمى وموتى الطاعون وغرقى سفن الخليج وقد رافقت طفولته وجعلته يغدق مشاعره وعطفه على الدمى " تذكر الدمى التي كان يلقيها في نهر العشار والتفت فجأة إلى ماء النهر خيل إليه أنه لمح دمية تسايرهم فرك عينيه لكنه لم يرى سوى نهر ممتلئ بالدمى وسوى ذاكرته"/ "69. أورث الجد محبة جمع الدمى لإولاده وأحفادة من الرجال والنساء ،إن سردية صداقة الشخصيات ومحبتها للدمى تصوير رمزي لضعف وهشاشة الانسان في تشبيهه بالدمية الساكنة والمنقادة للعب الايدي. بدأت حكاية تشييد دار زمان من الاضبارة الثانية، الصبيتان زينة وفرح شقيقتان لأمير اسمه "بدر المهنا" حاكم جزيرة خرج الواقعة على السواحل الشمالية الشرقية للخليج العربي، كان الأمير قد انقذ الصبي "علي زمان" بعد أن غرق والده النوخذه زمان وجميع أهله في مياه الخليج فما كان من الأمير إلا أن يتبنى الصبي ويغدق عليه من رعايته حتى صار شابا بحارا متمرسا بالتجارة وركوب الأمواج، عاهة الأمير النفسية غلظته وقسوته في التعامل ليس مع رعيته فحسب وإنما مع أقرب الناس إليه خاصة مع شقيقتيه اللتين قتلهما ظلما وبطريقة بشعة بعد أن اتهامهما بارتكاب الفاحشة مع زعيم احدى القبائل "جرى طرحهما أرضا وربطت اقدام وأيدي زينة وفرح ببعضهما وأمرالعبيد بربط اقدام شقيقتيه بالمرساة ثم حملهما وهما تستغيثان وتتوسلان بصوت يمزق القلب بأخيهما وبالعم علي زمان"/87. بدأت الحكاية من حيث جبروت السلطة وظلمها الضعيف" الأنوثة" ومن خوف البطل " الفحولة" وتخاذله عن انقاذ الصبيتين، ظل علي زمان يعاني جرح التخلي عنهما زاد من احتفاظه بالدمى وقد بنى الدار تخليدا لذكراهما، خاض رحلة بحث عن رفاتهما وعندما وجدهما دفنهما وغدت دار زمان مأوى وسكنا لإبناء وأحفاد العائلة ومقبرة لجثامين الموتى منهم!. شغل وصف موقع الدار من حي نظران وتصميمها والمواد التي استخدمت في انشائها قسما من اهتمام مؤلفة الكتاب والساردة بالتراث المعماري لبيوت الشناشيل في البصرة وهي تقاوم الاندثار " كان اشبه بقصر صغير في حينه ولبعده عن ضفة النهر فقد اختلف عن بقية قصور الشناشيل العائدة لكبار التجار بخلوه من ساقية تجري إليه من نهر العشار"/111، يؤدي السرد وظيفة ثقافية في وصفه لعمارة بيوت البصرة الاثارية وهذا ما يطلق عليه التنافس في الحبكة بين التعاقب والتصوير، الأحداث والمكملات. مثلت الاضبارة الأولى " سهيلة وميريام" بداية الرواية المعنونة " انوش" دونت بقلم " سلام وأشرقت" عاشا بين سنتي 1995-2019 وقد ماتا غرقا بعد زواج سعيد لم يدم الإ سنوات قليلة "سلام" حفيد اسرة سيد رضا وأشرقت حفيدة سهيلة،يطلعنا السارد في الإضبارة على مسرح الرواية نشاهد البصرة 2018 وهو زمن الكتابة " الان" بيئتها التي لا تخلو من الأوساخ والإهمال واحيائها العريقة محلة نظران،وحي الارمن الذي خلا من سكانه بسبب هجرة العوائل الأرمنية وذكر حديث "ميريام" أم خاجيك ومن ثم يطلبان من "سهيلة" جدتهما بالشروع في سرد قصص دار زمان وإهلها عليهما. نلحظ اليات التناوب في بنية الزمن من المستهل ومن ثم سيرة المؤلفة وحتى سردية الأضابير بدأت الرواية من المستقبل صدور الطبعة الثانية للرواية وانتهت بهذا التاريخ 2049،الاتي هو"اليوتوبيا". امتلكت مؤلفة كتاب " دار زمان" في الزمن الاتي حريتها الكاملة في السفر والتعليم وفي اختيار شريك حياتها والأهم من ذلك أنها امتلكت ناصية الحرف وصار بإمكانها أن تؤسس لذاكرة تاريخية جديدة لتنقذ المدينة من السقوط والاندثار بعد عوادي الدهور عليها. نور وزوجها "خاجيك" وعائلتيهما بصريون وعالميون في الوقت ذاته تمكنوا من تجاوز مأزق الهويات الاثنية الضيقة نحو المواطنة العالمية المتسامحة، والعالمية بما تمثله اختلاف في الاعراق والثقافات عنصر بنيوي في تشكيل مدن السواحل ومنها البصرة .

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 126) 2024, pp. 735-744

2-2: التحبيك في حكاية الجدة سهيلة

ما بين الاستهلال والختام استرسلت الجدة "سهيلة" في سرد حكايتها وقد أخذ الانتظام في بنية الزمن يحل بديلا عن التناوب في الحكاية الإطارية، يمثل التتابع أوالانتظام التراث الممتد من التاريخ بكونه " الايديولوجيا"،من منظوري التناوب والتتابع بالإمكان تكبيرصورة المجتمع في بنيته الصراعية"،تكشف المشاكلة بين حبكتين تأويل الخطاب بين الايديولوجيا بوصفها الوسيط الرمزي الذي يوحد الجماعة التاريخية في هوية حكائية مؤتلفة واليوتوبيا بوظائفها الاستيهامية التثويرية". ([1])

صاغت " سهيلة" قصصها في قالب من الحكاية الشعبية والتي تعني" الخبر الذي يتصل بحديث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لاخر"([2]) من ميزات الحكاية الشعبية الدلالية ارتباطها بالماضي وخرافاته وابطاله ولكونها تروى شفاها تتسم بالغزارة والاطناب ولإنها تروى لمرة واحدة يغلب على تنظيم الحبكة التتابع والاهتمام بالعقدة الدرامية وحلها عبر التواتر المرصوص للأحداث([3]).

روت " سهيلة" أحداث ثلاثة قرون وعقدين بعدهما من تاريخ " دار زمان" وإهلها وفي كل قرن هنالك ثلاثة أجيال من الشخصيات الأجداد والابناء والأحفاد لذا لم تجد لها متسعا للإطناب فأخذت تروي المقتطفات والشوارد، المجمل والاختصار ،الحذف من التقنيات زخرت بها الرواية.

من السرد المجمل قولها "لم يعش دار زمان في داره إلا سنوات قليلة ثم اضطر للرحيل عن البصرة وتملكه عدن أفندي من بعده ثم انتقلت ملكيته للأتراك ووفقا لما وجدته الإدارة البريطانية مدونا في دفاتر الطابو فإن اخر مالك لدار زمان هو ضابط في الجيش العثماني اسمه غازي بيك لكن الأهالي يروون عن اسلافهم إن ضابطا عثمانيا اسمه عصمان بيك هو أول من استولى على دار زمان بالقوة:"/113. سرد مجمل لما الت اليه ملكية الدار بعد وفاة اصحابه الاصليين .اختصرت حياة آذار بن علي زمان بصفحتين "وبعد عودته إلى البصرة بعام أو اكثر تزوج واستقر قليلا ورزق بولد سماه مهنا... وبعد ولادة ابنه بأشهر ركب آذار البحر إلى مسقط ليلتق بأخويه... وكانت هذه السفرة آخر عهد لآذار بإبنه مهنا وبأخويه اذ توفي على ظهر سفينة في طريق العودة" (131/130).

من تقنية الاختصار في صياغة الحبكة حكاية الصبية الزنجية " زعفران" المتزوجة من" كارين" شقيق الفتاتين الارمنيتين أنوش وكوهار كانت وعائلتها تعمل في بيع السويكا " باعة السويكا وأغلبهم من الزنوج أو الهنود يحتلون مكانا جانبيا في ساحة أم البروم فيجلسون متجاورين ويقضون الوقت بالمزاح وغناء الهيوة وبعضهم يقوم للرقص لأحيانا"/217، عرجت الساردة "سهيلة على حياة زنوج البصرة من خلال حكاية زعفران وقد تحرش بها الميجر الاسكتلندي في السوق ردت يده وحاولت ضربه فعاجلها أحد حمايته برصاصة وأرداها قتيلة في الحال ،انتفض الزنوج غضبا مرددين"كركي كتل زعفران يا أهل السويكا عزلوا"/218، اختصرت حياتها ومصرعها بصفحتين. تتبوأ تقنية الحذف الصدارة في حكاية تروي عهودا متوالية من تاريخ البصرة لم تلم الرواية بالعديد من الأحداث منها العهد الملكي والجمهوري الأول والثاني 1958-1969 باستثناء عهد الديكتاتور صدام 1979-2003 والذي حظي بسرد مكثف وممتد على صفحات الرواية عن ما حل بالأسر من ظلم وقتل وتهجير لإبنائها لم تذكر إلا إشارات في اسطر قليلة للعهدين الملكي والجمهوري بينما عهد الاحتلال العثماني وما رافقه من عنت حكم البشوات من جهة وتسلط زعماء القبائل على مقدرات ورقاب الفقراء من أهل البصرة من جهة ثانية قد استحوذ على مساحة عريضة من الأحداث فقد ارتأت قصدية الخطاب

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 126) 2024, pp. 735-744

الغوص في تواريخ بكرلم يسبق أن قدمتها الرواية العراقية، لتصحب الرواية المتلقي في مغامرة"نوستولوجيا" لتلك الأزمان.

2-3 : طقوس العبور في رواية " نور خضر خان":

ليس غيرالزمن الحميمي " الإنساني" من يثيرالألم ويستدر الدموع ويلهب العواطف ،إحتفى خطاب الرواية بطقوس العبور وهي بحسب تعريف " فان جيب" " الانتقال من طور سواءً أكان زمانيا أو مكانيا إلى آخر وكل انتقال هو تحول من حالة إلى أخرى"([1]) من طقوس العبور في حكاية سهيلة أزمنة التشكل الحمل والولادة والطفولة ،وأزمنة الفعل العمل والحب والزواج ومن ثم أزمنة الأفول الموت غرقا أو قتلا أو مرضا وكان أغلب رجال الحكاية قد ماتوا غرقا تمثيلا وتماثلا بين فضاء البصرة والذي يميزه البحر وبين قصة حياة الجد " علي زمان" وغرقه في البحر ومن بعده ابنائه وأحفاده الذين ماتوا في بالطريقة نفسها . ومن طقوس عبور الأمكنة سردية الرحلة عبر البحر طلبا للرزق عبر مياه الخليج المنفتحة على اصقاع الأرض ،من السواحل الشرقية هنالك جزر خرج وجزيرة أم الرصاص، ونهر الشعشاعي والجراحي،من ثم جهة الغرب خليج عمان جزيرة بمبا و "زنجبار" في المحيط الهندي حيث عاش "مهنا" بن آذار بن " علي زمان" " اتخذ من جزيرة بمبا سكنا له وبنى دارا سماها دار القرنفل، وخلال ذلك زار البصرة مرتين ولويزا معه وكان في طريقي الذهاب والعودة ينزل وأسرته في مسقط عند أولاد عمه"/136.

تشتبك هوية المكان مع هوية الشخصية وتكون أحدهما امتدادا للأخرى أو مجازا لها وتنضجهما الهوية السردية بوساطة الأخيلة ونظام تحبيك القصص، الأمة البصرية بما أنها كيان سياسي وثقافي في آن بحسب تعريف " تودوروف"([2]) وبدلالة خطاب الرواية ليست أمة عراقية حصرا وإن حل العراق في المركز منها وإنما هي أمة توارثت هوية موازية شكلت سماتها عبر التاريخ علاقتها بالأمم والثقافات الممتدة عبر البحر من الخليج إلى بحر عمان وحتى المحيط الهندي غربا، تلك الهوية المميزة جديرة بالاستعادة السردية عبر ذاكرة الأجيال.

الخاتمة:

أوجز ما توصلت اليه في هذا البحث بالاتي:

1- ترصد رواية الأجيال أثر التاريخ والبيئة والثقافة على افراد أسرة أو جماعة عرقية ودينية أو أمة سياسية في حقب تتوالى وتتعاقب عليها صروف الدهر وتتميز المرحلة الأولى من حكاية الأجيال بالتفسير فتبحث في الاثر الزمكاني وتجاوب عن سؤال هل الأثر خطي ثابت متحجر أم هو أفقي متحرك وديناميكي ومن ثم تأتي مرحلة التأويل والتي تنشد حل لغز الزمانية العميقة الخاصة بالمتخيل الإجتماعي لتلك الأسر أو الجماعات وحل لغز جدلية الحياة والموت من الناحية الفلسفية.

2- تعد " نور خضر خان" للروائي البصري " جابر خليفة جابر" في خطابها المنفتح على أجناس كتابية عدة ،رواية أجيال لأنها سردت حكاية أربع أسر بصرية من واثنيات مختلفة على مدى أربعة قرون، وهي "سيرة متخيلة" لمؤلفتها المتخيلة " نور خضر خان" بما تضمنته القصة الإطارية عن ارهاصات تأليف حكاية " دار زمان" في محلة نظران، وهي ميتا رواية تاريخية فقد استندت للرواية التاريخية الشفاهية والتوثيقية للمدينة وللمتخيل السردي وفي هذا الاتجاه في كتابة الرواية ينحو التاريخ نحو نصيته يصبح خطابا يضمن الحقيقة بآليات الوثيقة والذاكرة بمقدار طاقته المتخيلة

3- .مثلت الهوية السردية في الرواية أعادة تشكيل للهوية الشخصية عبر الوسيط التخييلي من خلال العبور من الذاتية إلى الغيرية عبر الدوام في الزمن وتمثل الحبكة أو اليات التحبيك السردي بحسب مقولات " بول ريكور" فالحبكة هي المكون السردي الذي يستخرج من تشعب التجارب العشوائي كلا زمانيا موحدا وقد نهض البحث بمعاينة المفارقات الزمنية التي منحت الشخصيات وجودها السردي والأشارة للأبعاد التصويرية الوصفية وهي تقتفي أثر المكان وتأثيره في الشخصيات

4- احتفت الرواية ولكونها تبحث عن هوية سردية بصرية على مستوى الدلالة واتبعت استراتيجية التكثيف الحكائي السردي لقرون متطوالة على مستوى فقد احتفت بطقوس العبور الزمانية ومنها الولادة والزواج والفراق ومن ثم الموت ،والمكانية مثل الترحال عبر سواحل الخليج من البصرة إلى عمان ومن ثم الهند وصولا لجزيرة " زنجبار" في أفريقيا وهي بذلك اشبه ما تكون بالمتحف .

الهوامش:

1- من روايات الاجيال المتعاقبة ، ثلاثية "شمران الياسري بدأها برواية "فلوس حميد"، ثلاثية " عبد الخالق الركابي" التي بداها برواية " الراووق".

2- والزمان والسرد فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي تحرير، ديفيد وورد، المركز الثقافي العربي،ط1، 1999/

3- البنية الاجتماعية السردية، رجب شانتورك، تر صابر الحباشة، جسور للترجمة والنشر ، بيروت،171/2017.

4- الهوية والسرد بول ريكور، حاتم الورفلي،،دار التنوير بيروت، 63/2009.

5- الرفيق إلى النظرية السردية،مجموعة من المؤلفين، تر محمد عناني، المشروع القومي للترجمة، مصر،277/2016 فلسفة السرد المنطلقات والمشاريع، مجموعة من المؤلفين، اشراف وتنسيق اليامين بن تومي، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الشبكة المغربية للدراسات الفلسفية والانسانية، الرباط،79/2014.

6- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1985/ 225.

7- المبنى الميتا سردي للرواية، فاضل ثامر دار المدى للثقافة والفنون،214/2013،ينقل الاستاذ الفاضل الكلام الانف عن مترجمي فكول " بول ريكو" مثل " سعيد الغانمي" فلاح رحيم".،

8- الوجود والزمان والسرد فلسفة بول ريكور،83.

9- المرئي والامرئي، موريس ميرلوبنتي، تر سعاد محمد خضر،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 25/1987.[1]

10- التداولية اللغوية في القصص الخيالية السردية، ريتشارد وولش، تر محمد عناني، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 255/2016.

11- البنية الاجتماعية السردية، تشريح شبكة رواية الحديث، رجب شانتورك، تر صابر الحباشة، جسور للترجمة والنشر، بيروت،108/2018.

12- التاريخ والذاكرة، جاك لاكوف ، تر جمال شحيد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ،19/2017.

13- الوجود والزمان والسرد/69.

14- النظرية التأويلية عند ريكور، حسن بن حسن، دار تيمنل للطباعة والنشر، مراكش،55/1992.

15- اشكال التعبير في الأدب الشعبي ، نبيلة ابراهيم ، دار المعارف، القاهرة،/119.

16- سلسلة عالم المعرفة 182 ، الكويت، 1994،175/. - الشفاهية والكتابية، والتر ج أونج، تر حسن البنا عز الدين
17- طقوس العبور في الحكاية الشعبية الجزائرية، صالح جرير، مجلةجيل الدراسات الأدبية ، جامعة الشاذلي بن جديد العدد 35،2018/4.
18- نحن والاخرون، تودوروف،ربى حمود، منشورات الاختلاف،ط1، 1998/44.

المراجع:

1- البنية الاجتماعية السردية،رجب شانتورك،ترصابر الحباشة،جسور للترجمة والنشر، بيروت،،ط1 2017
2- التاريخ والذاكرة، جاك لاكوف، تر جمال شحيد، المركز العربي للأبحاث بيروت، ط1 ،2017.
3- التداولية اللغوية في القصص الخيالية السردية، ريتشارد وولش، تر محمد عناني، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ط1، 2016.
4- الذاكرة والسرد، بول ريكور، حوارات تر سمير مندي،ط1، 2016
5- الرفيق الى النظرية السردية،مجموعة من المؤلفين، تر محمد عناني، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016.
6- الزمان والسرد فلسفة بول ريكور، ديفيد وورد، تر سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1999،1.
7- طقوس العبور في الحكاية الشعبية الجزائرية، صالح جرير، مجلة جيل للدراسات الأدبية، جامعة الشاذلي بن جديد، العدد 35، 2018.
8- فلسفة السرد المنطلقات والمشاريع، مجموعة من المؤلفين، اشراف اليامين بن تومي، منشورات ضفاف بالاشتراك مع الاختلاف، الشبكة المغربية للدراسات الفلسفية، الرباط، 2014.
9- المبنى الميتا سردي للرواية، فاضل ثامر ، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، 2013.
10- المرئي واللامرئي، موريس ميرلوبنتي، ترسعاد محمد خضر، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،1987.
11- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني،بيروت،1985.
12- الهوية والسرد، بول ريكور،حاتم الورفلي، دار التنوير للنشر، بيروت،2009.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 126) 2024, pp. 735-744

The narrative identity of the generational narrative in Iraq Anovel. Nour Khidr Khan... for Jaber, Khalifa Jaber, as an example....

Dr. Alia Khalil Ibrahim...
Al-Mustansiriya University...
College of Education/Department of Arabic Language
Alyath79@Gmail.Com

Abstract:

The novel "Noor Khidr Khan" by the novelist "Jaber Khalifa Jaber" belongs to the visual narrative experience, which is distinguished by its search for roots and originality on the one hand, and its aspiration for experimentation and following the waves of modernization in writing. This research looks forward to an interpretive reading of the novel according to the approach of the French thinker, "Paul Ricoeur," who made the tireless effort to study The aspects of the relationship between historical narrative and the fictional imagination, his theorization of narrative identity in literary discourses, and the importance he gave to the system of interweaving as a regularity of historical trouble in the process of temporality. The study is concerned with all that was mentioned.